مادة التفسير—جزء عمَ

الدرس الثالث -------من تفسير سورة عبس

للشيخ الدكتور-محمد الخضيري

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، مشاهدي الكرام، وإخواني الحضور، حياكم الله جميعاً، في درس جديد من دروس التفسير في هذه الأكاديمية الإسلامية المفتوحة.

ومقرر التفسير هو جزء عم، وقد أخذنا -بحمد الله- تفسير سورة النبأ وتفسير سورة النازعات، واليوم معنا تفسير سورة عبس.

هذه السورة الكريمة، سورة مكية، يتضح لنا ذلك من خلال موضوعاتها، ويتضح لنا ذلك من خلال أسلوبها، وقصر آياتها، ويتضح لنا ذلك أيضًا من خلال قصتها وسبب نزولها.

هذه السورة مقدمتها له سبب نزول، فمن يعرف سبب النزول؟

{يُروى أنها نزلت في ابن أم مكتوم، لما أراد أن يسمع من النبي -صلى الله عليه وسلم- ما يزكي به نفسه، فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يود لو أنه تأخر عن هذا الوقت، لانشغاله -صلى الله عليه وسلم- بأمر دعوة، رُوي هو أنه كان يدعو أبي بن خلف، وقيل ثلاثة نفر

، سبب نزول هذه السورة، أو مقدمة هذه السورة هو هذه القصة، وهو أن عبد الله بن أم مكتوم، كان ممن أسلم قديماً، فجاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يريد أن يتزكى، ويريد أن يتعلم دينه، وجاء مقبلا وهو أعمى، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- كان مشغولا بدعوة آخرين من كفار مكة، سواء واحد أو ثلاثة، المهم في تلك اللحظة كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يدعو هؤلاء وهم معرضون عنه،

وكان عليه الصلاة والسلام يتمنى لو أن عبد الله بن ابي (أم مكتوم) لم يأت في ذلك الوقت

لأنه عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن يحقر أحداً من المؤمنين، أو يتأخر عن إجابة طلبه، ولكن الموازنة كانت عند رسول الله في تلك اللحظة تقتضي بمقتضى ما عنده من الحكمة، أن يقدم شأن هؤلاء اللذين يرجو بدخولهم إلى الإسلام نفع الإسلام، وعز المسلمين،

ولكن الله عاتبه وقال: يا محمد إياك ----أن تقبل على من أعرض عنك،---------- وتدع من أقبل إليك.

وهذا هو الدرس الذي يجب علينا أن نفهمه من هذه القصة،

وهي أن الإنسان ما يذهب لمن يعرض عنه في الوقت الذي يترك فيه من يقبل عليه، فالذي يقبل هو الأحق، ولا تنظر يا محمد إلى المقاييس البشرية الأرضية، أن هؤلاء ذوو عزة وأصحاب مكانة ورفعة، هذا لا مكانة له عندنا، العز كله عند الله،

(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) [المنافقون: 8].

كان النبي -صلى الله عليه وسلم- قد اجتهد، ولكن الله عاتبه على ذلك، ولما عاتبه ربَّنا -سبحانه وتعالى- على كيف أو ما هو مقام محمد -صلى الله عليه وسلم- عنده، فلمَّا عبر بالعبارات التي قد يستوحش منها قبل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عبَّر بعبارات لطيفة على قلبه، وخفيفة على نفسه. فماذا قال؟

قال: (عَبَسَ وَتَوَلَّى) [عبس: 1]، الحديث هنا مع مَنْ؟ مع رسول الله، يعني الحديث هنا عن رسول الله.

فـ(عَبَسَ):----- أي قطَّب وجهه.

و(وَتَوَلَّى): ----أي أعرض عن هذا الذي جاءه يريد أن يسترشده ويسأله.

عبَّر بضمير الغائب لماذا؟ لماذا لم يقل: "عبست وتوليت"؟ قال: **(عَبَسَ وَتَوَلَّى)؟**

نعم لها احتمالان:

----إما أخذًا بالأسلوب العربي وهو الالتفات

--، والثاني: كأنه كما يُقال: ما كان ينبغي مثل هذا}.

نعم، نقول الجواب على هذا: **هو أنه أراد ألا يُوحش صدره بالخطاب؛ لأن الخطاب له هجوم على النفس، وأثر ثقيل عليها،**

فكأنه يتحدث عن شخص غائب فيقول: عبس هو، وتولى هو، أن جاءه الأعمى، فلما ذهبت هذه الوحشة--- بدأ بالخطاب، فقال:---------- **(وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى).**

طيب.. (عَبَسَ): أي قطَّب بوجهه، و(وَتَوَلَّى): أي أعرض ببدنه؛ لأنه لما أقبل ابن أم مكتوم إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كره النبي -صلى الله عليه وسلم- مجيئه، ولما جاء يسأل أو يريد من النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يرشده إلى ما أراده أعرض عنه وانشغل بهؤلاء من صناديد قريش، فعاتبه الله -عز وجل.------ثم قال: (أَن جَاءَهُ الأَعْمَى) [عبس: 2]: أي بسبب أن جاءه الأعمى.

. هنا سؤال: لماذا عبَّر عن هذا الرجل أو الصحابي بالأعمى؟ أليس في هذا تعييرًا لهذا الرجل؟ لماذا لم يقل: أن جاءه عبد الله بن أم مكتوم مثلًا؟ أو: أن جاءه ابن أم مكتوم؟

الجواب طالب يقول-----

{ربما لكون الناس ينتقصون أصحاب الخِلقية وغيرها، وليس المهم الاسم هنا في هذا المقام وفي هذا السياق، وإنما المراد في ضوء السياق أن يبيِّن بأن رجلًا ذا عاهة وعيب حضر؛ فالناس في الغالب ينتقصون هؤلاء، فكان المقام أولى بان يركِّز على العاهة، أو صاحب العاهة، وليس على الاسم} ------، أنت حولها تدندن.

الشيخ نقول: لأسباب، منها:

1--**أولًا: ليُبيِّن عذر هذا الرجل الذي جاء إلى رسول الله**، هذا الرجل الذي جاء إليك يا محمد له عذر، وهو أنه أعمى، هو لا يدري أنك مشغول أو غير مشغول، وهو صاحب حاجة، فكان ينبغي لك أن تقضي حاجته وأن تعذره؛ لأنه لم يطلع على ما أنت مشغول به. هذا أولًا.

2--**ثانيًا: ليُرقق قلب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عليه وعلى نظرائه**.----

وهذه الآية ممكن نجعلها حجة في التلطف مع ذوي الاحتياجات الخاصة، وإعطائهم من الرفق واللين والرحمة أكثر مما يُعطى غيرهم؛

بسبب ما هم فيه من البلاء، فصاحب البلاء يُرحم أكثر من صاحب العافية، نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يعافينا جميعًاقال: (أَن جَاءَهُ الأَعْمَى)،

سؤال هل هذا يعتبر تعيير؟--------- لا، ليس تعييرًا، ما دام يُراد بهذا الوصف معنى لطيف وجيد،------- ولا يراد به العيب والتعيير فإنه لا يعاب ذلك أبدًا،

ومثل ذلك: لو أنك أردت أن تميز بين رجلين باسمين متحدين، احدهما عنده عاهة معينة يتميز بها، ----------والثاني ليس عنده ذلك، فلا بأس أن تصف أحدهما بتلك العاهة --------من أجل التمييز وليس من أجل التعيير،----------لكن لو قل لإنسان وأنت تعييره: يا أعمى،----- أو يا أعرج،----- أو يا أعور. فهذا مذموم ويأثم الإنسان عليه، ويُعتبر من الشتم الذي لا يليق بالمسلم أن يتلبس بشيء منه.

قال الله -عز وجل- معاتبًا رسوله بعد أن كان بأسلوب الغيبة جاء إلى أسلوب الخطاب، قال: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى).---- يا إخواني قبل أن نتجاوز هذا أحب أن أرجع مرة أخرى إلى قوله: (عَبَسَ وَتَوَلَّى)،

هذا التلطف من الرب -سبحانه وتعالى- مع الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم-

***** يُربينا فيه ربنا على مكانة رسول الله عند الله، وأن له منزلة عالية،

******** والله -عز وجل- يُبين لنا عِظم هذه المنزلة التي لرسول الله فيقول: (عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَاءَهُ الأَعْمَى)

، لو قال له: عبست وتوليت ما ضرَّ ذلك ربنا -سبحانه وتعالى- ولكن الله أراد أن يبين لنا كيف يكون الأدب مع الكبار، مع ذوي الشرف والمنزلة، مع ذوي المكانة، مع ذوي الفضل على أهل الإيمان، والفضل على الخلق، وما يخفاكم أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو أعظم الناس حقًّا علينا، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن به -عليه الصلاة والسلام- ويحبه أشد من نفسه.

ومن نظائر هذا الأسلوب في القرآن -وهي كثيرة بالمناسبة، ادعوكم لتتبعها، قول الله -عز وجل- في سورة التوبة:

(عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ) [التوبة: 43]، من يعرف ما هو العجيب في هذه الآية؟ --------

{فهمي أنا: إقرار النبي -صلى الله عليه وسلم- كبشر يجتهد ويصيب، ولكن رؤية المولى -سبحانه وتعالى- في كلا الحالتين لبيان العذر في تلك القصة، وبيان العذر لابن أم مكتوم لأنه أعمى. على أن اجتهاد النبي -صلى الله عليه وسلم- على ظاهره صحيح؛ لأن ابن أم مكتوم معذور لأنه أعمى لم يدرك موازنة النبي -صلى الله عليه وسلم- للمفاضلة بين الأمرين، فكان هذا مثل ذاك أو قريب منه}.

عندك جواب يا رياض؟

{أعتقد أن الله -عز وجل- أراد طبعًا أن يتلطف إلى رسوله -صلى الله عليه وسلم- فيهيئ الأجواء، يهيئ نفسية النبي -صلى الله عليه وسلم- لتلقي العتاب عليه----------، فقدَّم العفو والمغفرة عنه ثم جاء بالعتاب}.

السر هو: أنه قدَّم العفو قبل ذكر ما حصل لرسول الله -صلى الله عليه وسلم،

العادة أن أقول: أنت يا فلان أخطأت، وهذا لا يليق بك، ولكن عفا الله عنك. هذا الأصل، أن تذكر الذنب أو الخطأ الذي وقع ممن تريد التصحيح له، ثم تذكر العفو.

في الآية قدَّم العفو. لماذا قدم العفو؟ لئلا يستوحش قلب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويصيبه جائحة من الخوف؛ لأنه -عليه الصلاة والسلام- **يُريد أن تكون الصلة بالله -عز وجل- أعظم صلة، ولا يرتاح -عليه الصلاة والسلام- أن يكون التأنيب نازلًا عليه من السماء،**

ولذلك طمأنه الله، **(عَفَا اللَّهُ عَنكَ)**، طيب عفا عن ماذا؟ **(لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الكَاذِبِينَ)**، وهذا من الدلائل على مقام رسول الله عند ربه -صلوات ربي وسلامه عليه- لاحظتم؟ وأمثلة ذلك كثيرة جدًا، لو أردنا أن نأخذها لطال بنا المقام.

قال الله -عز وجل: **(وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى)**: أي شيء يدرك لعل هذا الأعمى الذي جاءك يتزكى،

---وقوله (زكى) أدغمت التاء في الزاي فصارت **(يَزَّكَّى)**، وأصلها: يتزكى.**(أَوْ يَذَّكَّرُ)** أو يتذكر **(فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى)** [عبس: 4]: هنا ذكر شيئين:

1---**الأول: يزَّكى، 2------الثاني: يذَّكر**.

قال العلماء: إن هذا من باب تقديم التخلية---------- على التحلية،

***** فإما أن يتطهر من ذنوبه **(يَزَّكَّى)**،

*****وإما أن ينتفع بشيء مما جئت به من الوحي والخير والعلم النافع، إما أن يحصل له هذا أو يحصل له هذا،

(وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى).

قال الله -عز وجل: **(أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى)**، أما هذا المستغني الذي لا يرغب في سماع ما عندك يا محمد، وليس عنده الرغبة في أن يُؤمن، ولا أن يتلقى، بل إنه راغب في فراقك، فما الذي يحملك على أن تتصدى له؟

(فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى)، أصلها: تتصدى، حذفت التاء الأولى تخفيفًا، وهذا سائغ في لغة العرب، خصوصًا إذا كان فيها شيء من الثقل على اللسان قال: **(وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى)**: معناها يختلف باختلاف "ما"، دعونا ننظر إلى كلمة "ما" يا إخواني.

"ما"--------- هذه يمكن أن تكون ماذا وماذا ليتغير بها المعنى؟---------**(وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى)**،

"ما" ما معناه في اللغة؟ ------هذا يُبين لنا أهمية تعلم معاني الأدوات التي يتغير بها المعنى.-------(وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى)،

1----- يمكن أن تكون "ما" نافية، **----أي: ليس عليك شيء في ألا يزكى، في ألا يتزكى، يعني: إذا لم يتزكى يا محمد فليس عليك شيء-------، لن ينالك من الله -عز وجل- ---------لا عقوبة ولا عتاب، لأنك قد أديت ما عليك،------- وهو الذي أعرض بنفسه، فليس عليك شيء إذا لم يتزكى.**

2----**المعنى الثاني: أن تكون "ما" ماذا؟ استفهامية**.

ماذا يكون المعنى؟ أي شيء عليك إذا لم يتزكى، الآن "ما" جاءت نافية واستفهامية، ولكن المعنى في النهاية واحد، أي شيء عليك إذا لم يتزكى؟ لا شيء عليك، لا شيء عليك إذا لم يتزكى.

قال: **(وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى)**، من هو الذي جاءك يسعى؟ عبد الله بن أم مكتوم.

1-----لاحظ كيف وصفه؟ وصفه بأنه قال: **(جَاءَكَ)، فجاء بنفسه**. أما أولئك فأنت جئت إليهم،------ وذهبت إليهم، -----وتصديت لهم، هذا جاءك طالبًا للهدى، فالحق أن يُقبل على مَن أقبل، وألا يؤنبه بمن أعرض، هذا هو الأصل، العدل أنك مَن أقبل عليك تُقبل عليه، ومن أعرض فلست مُحاسبًا لو أنه أعرض وتركته.--قال: **(وَأَمَّا مَن جَاءَكَ)**،

2------ **هو جاءك، الثاني**: **(يَسْعَى)** أيضًا هذا المجيء ------مجيء بإقبال ورغبة،----------ليس عبد الله بن أم مكتوم كان يمشي ثم سمع صوت النبي قال: تذكرت، فيه سؤال يا رسول الله، لا جاء قاصدًا؛ لأن السعي هنا لا ينبغي حمله على سعي البدن، بمعنى الركض أو الشدة في الجري؛ لأن ابن أم مكتوم أعمى، ومثل هذا لا يتصور منه أن يمشي في الأسواق وفي الشوارع بماذا؟ بقوة أو بسرعة.

إذن ما هو المعنى؟ **(جَاءَكَ يَسْعَى)، أي جاء مهتمًّا حريصًا مقبلًا**.

قال: **(وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يسعى)**،------- **السعي يا إخواني فضيلة ينبغي للمسلم أن يتصف بها**، --------وهي أنه إذا شرع في أمر من الخير يُقبل عليه ويحرص عليه، ماذا وصف الله المنافقين في أمر الصلاة؟ قال: **(وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ)** [النساء: 142]، ووصف المؤمنين في آية أخرى قال: **(وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً)** [الإسراء: 19]،

فحري بالمؤمن دائمًا إذا أقدم على عمل من الخير أن يُقدم عليه بهمَّة وبحرص وإرادة تامة دون تردد.

3------قال الله -عز وجل: **(وَهُوَ يَخْشَى)، هذه الصفة الثالثة،------ جاءك ويسعى وأيضًا عنده خشية حملته على أن يسأل**، وليس سؤال مجرد ماذا؟ استعلام أو تزود مثلًا من العلم فقط، أو لمجرد تزكية الوقت، --------أو لأجل الكلام مع رسول الله فقط -كما يفعل بعض المحبين لرسول الله، يريد أن يتحدث مع رسول الله بأي كلام،------- مثل ما يرى بعض الشباب الشيخ العالم،---- فيأتي ليسلم عليه، كيف حالك يا شيخ؟ ما هو أحسن كتاب في التفسير؟ هو يسأل هذا السؤال من أجل أن يتلذذ بسماع صوت الشيخ وإجابته له،- وإلا لا حاجة له بهذا السؤال، **لا هذا حمله على السؤال خشيته من الله -عز وجل- يريد أن يعمل، ويريد أن ينفذ.**

فإن قلت: ما الفرق بين الخشية والخوف؟ ، أيها أشد: الخوف أو الخشية؟

{الخشية عمل قلبي}

{الخشية أعلى من الخوف}... كيف؟----------{يعني الخوف من البشر}.

{يعني الخوف أعم********** أما الخشية **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)** [فاطر: 28]}.

نعم، **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)**، هل تستنبط منها معنًى في الفرق بين الخوف والخشية؟

{أعتقد أن الخشية هي الخوف مع التعظيم}.

الخشية: خوف بعلم، الأخ عبَّر------ عنها بتعظيم،------ يعني التعظيم ما يكون إلا بعلم.

أما الخوف ------**فيكون خوفًا، يعني أن تخاف من شيء، عامةً أن تسمع صوت مفزع تخاف،**

ما تدري ما هذا الصوت، هل هو صوت رعد يأتي بعده المطر، أو صوت قنبلة أو تفجير، ما تدري.

أما الخشية فتكون لمن علم؛ ولذلك جاء في الآية: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ).

ومادة خشي (الخاء والشين والياء) في اللغة العربية دائمًا تدل على الشيء الأكثر، الأبلغ أو الأقوى في المعنى، مثلًا خذ تصاريفها:

1-- خشِي ---خوف بتعظيم وعلم---

2----- وعندك "شيخ"، الشيخ من هو؟ إما أن يكون الكبير في السن أو الكبير في العلم، لو قلبتها مرة ثانية:

3------ خيش -------هو الكيس الذي يكون قويًّا فتوضع فيه الحبوب والأشياء الثقيلة، وهكذا.

طيب.. قال: **(يَخْشَى * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى)**، كيف هذا؟ جاء ويسعى، وهو يخشى، ومع ذلك تلهيت عنه، وسمى إعراض النبي -صلى الله عليه وسلم- عنه ماذا؟

تلهيًا؛ لأنك تركت ما يليق بك مع من أقبل عليك، وذهبت إلى من أعرض عنك، وليس مستمعًا لك، ولا منتفعًا بما عندك، فسمَّاه "تلهيًا".

قال: **(فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى)**، و**(تَلَهَّى)** هذه أصله:----- تتلهى، لكن حذفت التاء تخفيفًا.

ما هو الدرس الذي نأخذه من هذا؟

يا إخواني، في تقديمنا للدعوة، وبذلنا للعلم وللدين--------، ما ننظر إلى قضية مراتب الناس الأرضية، هذا فلان ابن أمير،------ ولا ابن غني، ولا ابن وزير، ولا ابن فقير؟ -------بل من أقبل على العلم، أقبل على الدعوة، جاء إلينا،------ يجب علينا أن نُقدم له هذه الدعوة، وأن نمد له يد العون والمساعدة، وأن نهديه سبيل الرشاد،------- وألا ننظر إلى أصله أو فصله أو نسبه أو غناه،----- أو حاله أو جاهه أو سمعته، أو أي شيء من هذه الموازين الأرضية. -----هذه فائدة عظيمة جدًا ينبغي أن نستفيدها من هذه الآيات.

{عندي سؤال}.-------تفضل، لكن بشرط ألا يكون طويل على أساس وقت البرنامج.

{نلاحظ الآن أن الآيات تعذر النبي -صلى الله عليه وسلم- في اجتهاده من خلال وصف أن النبي -صلى الله عليه وسلم- (تَلَهَّى)، فجانب صواب الأمر، وصف أو تمييز ابن أم مكتوم بأنه أعمى، كذلك وصف ابن أم مكتوم بصفات معينة قد لا يدركها النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه سعى، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- علمه محدود بما هو محيط به، **ويخشى أمر معين مبني على علم، أليس فيها عذر للنبي -صلى الله عليه وسلم- نفهم منه باجتهاده -صلى الله عليه وسلم- بمخاطبة أولئك القوم؟}.**

لا، يا عبد الملك نحن نقول: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما فعل الذي فعل عن هواه، هذا ما عندنا شك فيه -ولله الحمد- بل الذي حمل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على أن يُقبل على أولئك ويدع ابن أم مكتوم، أنه كان يريد مصلحة الدعوة

، ولكن جاءه التصحيح من الله، يا محمد من أقبل عليك فأقبل عليه، ومن أعرض عنك فلست محاسبًا ولا مسئولًا عنه، وإياك أن تدع ذلك الذي أقبل في مقابل أن تذهب إلى ذلك الذي أعرض.

وحال رسول الله أولًا كانت مزيد الحرص على الدعوة، ولذلك هو معذور فيما فعل -عليه الصلاة والسلام، لكن الدرس يأتي لنا نحن هذه الأمة، ولرسول الله من بعد تلك الحادث، خلاص جاءك أصغر الناس وأقلهم وأحقرهم في نظر الناس يُريد أن يسأل قدِّمه، ولا تقل: احتمال يُسلم ذاك الرجل ويكون لها شأن في دعوة الإسلام ونصرة للدين، هذا الأمر ليس إليك، هذا إلينا نحن.

قال الله -عز وجل: (كَلَّا)، كلا هنا قلنا بالأمس أنها تأتي بمعنيين:

1----- إما أن تكون بمعنى الردع والزجر.----- وقد يعبر عنها بعض العلماء **كابن جرير الطبري -رحمه الله: (ليس الأمر كذلك)**، كتعبير أخف من كلمة الردع والزجر.

2--- وإما أن تكون بمعنى: حقًّا.

******قلنا: تكون بمعنى حقًّا إذا لم يسبقها كلام يُردُّ عليه،**

******وتكون بمعنى الردع والزجر أو النفي إذا كان قبلها كلام ينفى، أو كلام يُرد على صاحبه.**

فهنا قوله: **(كَلَّا)** يُراد بها: **رد هذا الأمر، يعني ليس الأمر كما فعلت،**

ويمكن أو تتحمل أن تكون بمعنى حقًّا لتكون متصلة بما بعدها، حقًّا إنها تذكرة.

.. **(إِنَّهَا)** ما هي؟ يعود على الآيات السابقة أو القصة، هذه القصة تذكرة وعظة لك يا محمد ولأمتك من بعدك.

(فَمَن شَاء ذَكَرَهُ)،******إما أن يكون الضمير هنا عائد على الله، فمن شاء ذكر الله،

***** وإما أن يكون عائد على القرآن الذي منه تلك القصة، أو منه تلك الآيات

******. وهذا أولى، أن يعود على القرآن؛ لأن الحديث بعد هذه الآية هو عن القرآن.

قال الله -عز وجل: **(فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ)**، ما هو الذي في صحف مكرمة؟ هو الذي جاء في قوله: **(إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاء ذَكَرَهُ)**. أي هذا

موضوع في صحف مكرمة قد أعلى الله شأنها وكرَّمها.

(مَّرْفُوعَةٍ)، أي قد رفعت رفعًا حسيًّا، ورفعًا معنويًّا، ولذلك يستفيد العلماء من هذا أن كتاب الله ينبغي أن يكون دائمًا مرفوعًا. لما يكون مع الكتب يُرفَع، لما يكون في الأدراج، يوضع في الرف الأرفع تقديرًا له وتعظيمًا، كما أنه في اللوح المحفوظ -أيضًا- مرفوع فوق كل كلام، وكل شيء موجود في ذلك اللوح.

(مُّطَهَّرَةٍ)، أي لا يصيبها شيء من الدنس، --ولا يصيبها شيء من الزيادة أو النقص--- أو التحريف أو التبديل أو التغيير.

ثم ذكر مَن هم الذي يلون هذه الصحف المكرمة، قال: **(بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ)**، **من هم السفرة** هؤلاء؟ نعم يا شيخ هم--

1----الملائكة------، هذا قول جمهور المفسرين؛ لأن هذا الوصف قد جاء بهذه الصورة للملائكة في

الحديث النبوي، قال---- **«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران».**

2----وقال بعض العلماء: إن السفرة هم أصحاب رسول الله، أو كُتَّاب الوحي.

-****والظاهر: هو الأول، لمجيء هذا الحديث الذي يدل على ذلك،**

********وأيضًا لأن المؤمنين إذا وصفوا في القرآن لا يوصفون بقوله: (بَرَرَةٍ)، وإنما يوصفون بماذا؟**

الأبرار. أما البررة فهي خاصة بالملائكة.

طيب.. قال الله -عز وجل: **(بِأَيْدِي سَفَرَةٍ)**، سمي الملائكة سفرة لأنهم يقومون بالسفارة بين الله وبين خلقه، فكل الأعمال توكل إلى الملائكة حتى قبض الأرواح، والنزول بالوحي، الذي ينزل به الملائكة، ورفع الأعمال إلى الله -عز وجل-، الذي يرفعها ويقوم بذلك هم الملائكة، فسموا من أجل ذلك سفرة.

قال: **(كِرَامٍ)**، سموا كرام أو وصفوا بأنهم كرام؛ **لأن الكريم في لغة العرب**

^^^ هو الشريف في جنسه، أي شيء شريف في قومه يسمى كريمًا

^^^،حتى الأحجار منها كريمة -وغير كريمةإذا كانت شريفة في جنسها عالية القدر قيل كرام، وقيل: هذه أحجار كريمة

^^^ كذلك بنت الرجل يقال : كريمة فلان . لماذا؟ لعلوها عنده، وحظوتها لديه، وحرصه عليها، يقال: كريمة فلان،

^^^والعين تسمى كريمة أيضًا لنفاستها في بدن الإنسان.

فالملائكة لكرمهم، وعظم منزلتهم، ونفاستهم في مخلوقات ربهم -سبحانه وتعالى- قيل: كرام؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

*****(بَرَرَةٍ)** -----أي كثير البر والإحسان وفعل الخير،

*** فالبر مأخوذ من السعة، ----ولذلك يُقال للبادية أو يقال لغير المدن: بر، لماذا؟------ لأنها متسعة.

***وكذلك من يُكثر من فعل الخير----- يقال له: برٌّ،

****ويقال لهم: أبرار؛ ------لأنهم يتوسعون في فعل الخير.

بعد أن انتهى من هذا بدأ في ذكر أمر وهو: كيف أن الإنسان يجحد هذا الخير، ويكفر به من دون حجة ولا برهان،

فقال: {قُتِلَ الإِنسَانُ}، طبعًا الإنسان هنا لا يمكن أن يحمل على جنس الناس، وإنما يُراد به الكافر، ونستدل على ذلك بان هذه الآيات آيات مكيَّة، وغالب ما يرد من وصف الإنسان في الآيات المكيَّة إنما يراد به الكافر، (بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) [القيامة: 14]، (هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ) [الإنسان: 1]، وآيات كثيرة من هذا القبيل،

إذا ذُكر الإنسان في الغالب يراد به: الإنسان الكافر، وليس هذا شيئًا لازمًا، ولكنه يختلف باختلاف السياق.--قوله: (قُتِلَ)، العلماء يقولون: (قُتِلَ) دعاء عليه بالقتل، **وهي بمعنى: لُعن عند كثير من المفسرين.**

(قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ)، اليوم معنا أكثر من مثال لـ "ما" وما يتصل بها.

. (قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ)، لاحظوا معي يا شباب.. (مَا أَكْفَرَهُ).. جميل؟

"ما" هذه أي نوع منها؟ **نحن هنا قلنا: إما أن تكون نافية أو تكون استفهامية.**

وهنا: (مَا أَكْفَرَهُ)، "ما" ماذا؟ "قتل الإنسان الذي أكفره"؟

1--{استفهامية}.--- أي شيء أكفره؟ قتل الإنسان أي شيء أكفره؟----نعم، تصح أن تكون استفهامية.

(قُتِلَ الإِنسَانُ)، ما الذي جعله يكفر؟ أي شيء جعله يكفر؟ قد قامت عليه الحجج، وأقام الله -عز وجل- له البينات، أرسل له الرسل، أنزل عليه الكتب، جعل له عينين، لسان وشفتين، ما الذي جعله يكفر؟-------إذن: احتمال تكون استفهامية.-----{تعجبًا من حاله}.

2---الثانية يا شيخ ما هي؟ تعجبية.(قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ)، "ما" هنا تعجبية، يعني: **عجبًا له كيف يكفر؟**

وال**تعجب** هنا أليق بالسياق، ما أكفره يعني ما أشد كفره! وبالفعل، الإنسان إذا كفر لا شيء من المخلوقات يمكن أن يزيد عليه في الكفر.

قال الله -عز وجل: (مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ)، يبين الله حقيقة هذا الإنسان الذي كفر، وأنه ضعيف، وأن إمكاناته محدودة، وأنه محتاج إلى الله، ومع ذلك يكفر ويستعل ويكذب بالله وبرسله، ويرد آيات الله -سبحانه وتعالى.

قال: (مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ)، ما هي مكونات هذا المخلوق الذي استعلى واستكبر وتجبر وبطر؟

قال: (مِن نُّطْفَةٍ)، هذا الإنسان مخلوق من نطفة، والنطفة هي: الماء القليل، وهو هذا الماء الذي خلق منه الإنسان،

وهو ماء قليل، أيضًا ماذا؟ قذر، خُلق الإنسان منه، فما الذي جعله يتكبر!

(مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ)، لاحظوا **جاء بالفاء** ليدل على أن النطفة من حين ما تقع في الرحم يبدأ عملية التقدير

، الفاء هنا للدلالة على الترتيب والتعقيب.

قال: (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ)، جاء **بـ "ثم"** لأن بين التقدير------ وبين الخروج من بطن الأم فترة زمنية تستحقوال**ثم هنا الدالة على التراخي**

.طيب.. ما هو السبيل؟

السبيل: اسم لأكثر من معنى،

1------ يمكن أن يكون طريق الخير والشر، ويمكن أن يكون طريق الخروج، --ويمكن أن يكون الطريق العام، ولأجل ذلك اختلف العلماء في قوله: (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ)، هل معناها: -----يسر له طريق الخير والشر؟ فالإنسان يرى من نفسه الآن طريق الخير والشر أمامه مفتوحان يفعل ما يشاء.

2-----ويمكن أن يكون: (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ)، ثم طريق خروجه من بطن أمه يسره.

أي المعنيين في نظركم؟ رياض ما هو المعنى الذي ترى أنه أصوب؟

{يظهر من السياق أن الراجح من أقوال المفسرين أن الله -عز وجل- يسر طريق خروجه من بطن أمه لماذا؟

{لأنه ذكر قبل ذلك النطفة}.-------جميل، هل هناك مانع من أن تحتمل الآية المعنيين؟

{ليس ثمة أي مانع، ليس ثمة تعارض بينهما}ولذلك نحن نقول: كِلا القولين مقبول،لكن أليقهمابالسياق، ولذلك نجد الشوكاني -رحمه الله- في تفسيره يعبر دائمًا بعبارة: والأول -----الأولى.

لماذا يقول: أولى؟ لأن القول الثاني لا يمكن نفيه. -------الآية تحتمله ويكن تستوعبه، فنحن نقول: هذا القول صحيح وهذا القول صحيح، لكن أليقهما بالسياق وبالدلائل التي تحف هذا المعنى هو القول الأول، (ثُمَّ السَّبِيلَ) أي طريق خروجه من بطن أمه (يَسَّرَهُ).

(ثُمَّ أَمَاتَهُ)، لأن بين خروجه من بطن أمه وموته في العادة وقت طويل، عشر، أو عشرين، أو ثلاثين، أو ستين سنة.

(أَمَاتَهُ): أي قدر عليه الموت.-------(فَأَقْبَرَهُ)، **لماذا عبر بعد الموت بالفاء، قال:** (فَأَقْبَرَهُ)؟

لُيبين أن الإقبار يكون بعد الموت مباشرة، ولهذا ممكن نأخذ من هذه حكم شرعي وهو استحباب الإسراع بدفن الميت وتجهيزه بعد موته، وعدم التأخر بذلك كما يفعل الناس في هذا الزمان.

قال: (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ)، أقبره ما معناها يا إخواني؟ ليس معناها أقَبَرَه

؛ **لأن الله لا يقبر الناس**، وإنما أقبره: هيأ له مكانًا يُقبر فيه، (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ).

قال: (ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ)، لاحظ، لما كان ما بين القبر والنشر وقت طويل لا يعلمه إلا الله -سبحانه وتعالى- جاء بماذا؟

بـ " ثُمَّ "، وهذا يدلنا على أن القرآن لا يمكن أن يضع حرفًا أو كلمة إلا في مكانها، ومتى وجدت حرفًا أو كلمة لم تحملها على المعنى الذي يُريده الله -سبحانه وتعالى-، وسويت بينها وبين غيرها مما هو قريب منها؛ فأنت لم تفهم المراد.لاحظ هنا "فاء" **"ثُمَّ" ما جاءت هكذا عبثًا**، جاء كل واحد منها في مكانه، كان بالإمكان أن يسوِّي فيقول: "خلقه من نطفة ثم قدره ثم السبيل يسره ثم أماته ثم أقبره ثم إذا شاء أنشره"، ويكون المعنى المراد به التعاطف.-------لكن الآيات تأتي مرة بهذا، ومرة بهذا، ومرة بهذا، وفي الآية الواحدة قد تجد الاثنين، "ثم" و "الفاء"، لماذا؟ ليبين لك أن كل حرف استُعمل في مكانه، وهكذا سائر القرآن.----

-قال الله -عز وجل: (كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ)، (كَلاَّ)

ردع لهذا الإنسان الكافر، (لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ) يعني لم يفعل ما أمر به.

قال مجاهد: "يعني ما من أحد يمكن أن يفعل كل ما أُمرَ به، بل لابد أن يُقصِّر الإنسان،

وهذا من طبع الإنسان «كل ابن آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوابون»".

قال الله -عز وجل: (فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ)، هنا بعدما انتهى من ذكر كفر الإنسان بالرسالة التي أوحيت إليه وأنزلت عليه،

انتقل إلى ذكر دلائل القدرة، وأيضًا دلائل النعمة، نعمة الله على عبده التي تدعوه إلى أن يدع هذا الكفر، وأيضًا دلائل القدرة التي تدل الإنسان على أن الله قادر على الشيء الذي ينكره الإنسان، وهو البعث بعد الموت؛ لأن هذه قضية قلنا أنها من أهم قضايا جزء عمَّ.

قال الله -عز وجل: (فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ)، يعني لينظر كل واحد منكم أيها الناس إلى هذا الطعام الذي بين يديه، من أين هو؟ ما هو دورك في هذا الطعام الذي عند؟ الأرز الذي تأكله صباح مساء، ما هو دورك فيه؟ القمح، الفول، الجزر، الخص، إلى آخره.

هل أنت صنعته وكوَّنته؟ هل أن أخرجته وفعلت به هذه الصفة التي هو عليها؟ وضعت فيه هذا الطعم الذي هو فيه؟ لا والله، إنما أنت فعلت شيئًا أمرك الله به، وليس هو في الحقيقة هو المؤثر، بل التأثير كله من قِبل الله.

قال: (فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا)، نحن أنزلنا الماء مصبوبًا من السماء، (ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا)، شققنا الأرض بالنبات، تكون البذرة داخل جوف الأرض، ثم ما تزال بضعفها تقاوم وتدخل وتدخل حتى تخرج على ظهر الأرض، (ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا * فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا)، بدأ بالحب كما في سورة عمَّ.--------ماذا قال في سورة عمَّ؟

قال: (وَأَنزَلْنَا مِنَ المُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً * لِنُخْرِجَ بِهِ حَباً) [النبأ 14، 15]، لماذا قلنا بدأ بالحَبِّ هناك؟{لشدة حاجة الناس للحَبِّ قبل النبات}.

نعم، لشدة حاجة الناس إلى الحَبِّ لأن به أقواتهم، فقوتنا نحن بهذا الحب، يعني تستطيع أن تستغني أن عن الخص والكراث، والجزر، والبرتقال، والتفاح، **لكن يشق عليك أن تستغني عن القمح، والارز، والذرة، والدخن**، وغيرها من الحبوب التي هي أقوات لبني آدم.

قال: (فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَباً * وَعِنَباً)، **ذكر العنب، لماذا العنب يُثنِّي به؟ لأنه من أحسن الفواكه وأعظمها أثرًا على صحة الإنسان**، وأكثرها لذة، وأكثرها أيضًا سهولة في جنيه وفي أكله، فكروم العنب عندما تأتي إليها تقطفها هكذا ثم تضعها في فمك مباشرة، وتجد حلاوتها من أيسر ما يكون، وطعمها من ألذِّ ما يكون، ومضغها واستساغتها من أيسر ما يكون.

فالله -عز وجل- يُبين لك كيف أن الله يسر لك هذه النعمة، وهيَّأ لك هذا الطعام، فما الذي يدعوك إلى الكفر؟ ما الذي يجعلك تستكبر وتستعلي؟

قال الله -عز وجل: (وَعِنَباً وَقَضْباً)، (وَقَضْباً) ما معناها؟ ما معنى قضبًا، (وَعِنَباً وَقَضْباً).

العلماء يقولون: **القضب هو ما يُقضَب يعني يُقطَع، فكل النباتات التي تُقطَع ثم تعود تسمى قضب**، فمنه مثلًا: الخص، والكراث، والقت الذي يُوضع للبهائم يسمى القت أيضًا، كله من القضب.----كلمة "قضب" معروفة في العربية بمعنى القطع،

«كان النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يرى شيئًا فيه تصليب إلى قضبه». ما معنى قضبه؟ قطعه، يعني ما يرى مكان فيه صليب ظاهر إلا قطع ذلك الصليب؛ لأنه شعار النصارى.

(وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً)، الزيتون معروف، سواء الزيتون في حَبِّه، أو الزيتون فيما يُعصَر منه ويخرج من زيت.

(وَنَخْلاً)، هذه النخلة المعروفة التي فيها هذه الثمرة العجيبة، التي تجمع بين خمسة أشياء: فهي حلوى، وغذاء، وقوت، وفاكهة، ودواء. وهذا قلَّ أن يجتمع في شيء من النبات، إما أن تجد النبات طعام مثلًا، وإما أن يكون دواء، وإما أن يكون غذاء، وإما أن يكون قوت.

أما التمرة أو ما يخرج من النخلة فهو يجمع هذه الخمسة أشياء،

ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يتحدث عن أثر هذه التمرة يقول: «بيت ليس فيه تمر أهله جياع»؛ لأن التمرة تغني عن كثير من حاجات الإنسان، أو عن كل حاجات الإنسان إلا ما ندر.

قال: (وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً)، الحدائق: جمع حديقة، والحديقة عند العرب هي ما يُحدق بالشيء، يعني يطيف به ويحوِّط عليه فتسمى حديقة، **فالحديقة** عن العرب هي: ما أُحدِقَ عليه بشجر أو شيء يحوطه.

(وَحَدَائِقَ غُلْباً)، أي **وأشجار غُلب**، يقول العلماء:

الغُلب: هي ذات الجذوع العريضة، والأفنان الملتفة، تسمى غلب، يعني الأشجار العظيمة.

(وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً)، هذا يدخل فيه جميع ما يتفكَّه به الإنسان، برتقال، والموز، والتفاح، وغيرها.

(وَأَباً) ، **قال العلماء**: **الأبُّ هو ما تنبته الأرض من الكلأ مما ترعاه البهائم**، وقد ورد عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال: **"قد عرفنا الفاكهة فما الأب"، ثم قال: "إن هذا لهو التكلُّف يا عمر"، وثبت هذا عن عمر بإسناد صحيح. فعلى أي شيء نحمله؟**

قال العلماء: يحمل على أن عمر أراد أن يعرف أي نوع من الأب، وإلا معنى الأب معروف عند العرب، لا يخفى على عربي أصلًا.

فقال: "إن هذا لهو التكلُّف" يعني يكفيك أن تفهم المعنى العام يا عمر وهو كلأ الأرض، دون أن تعرف عينَ أو شيئًا معيّنًا من هذا الكلأ.

قال الله -عز وجل: (وَفَاكِهَةً وَأَباً)،

أما ما رُويَ عن أبي بكر أنه لما سئل عن الأب، قال: "أي سماء تظلني، وأي أرض تُقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم"، فهذا إسناده ضعيف عن أبي بكر -رضي الله تعالى عنه

.

بعد أن بيَّن هذه الدلائل انتقل إلى ذكر يوم القيامة الذي سيقت هذه الدلائل من أجل بيان أن ذلك اليوم ممكن

وحاصل ولا مشقة فيه على الله -سبحانه وتعالى- الذي خلق كل شيء، وبيده كل شيء، وأمره (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) [يس: 82].----قال: (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ) ،

ما هي الصاخة يا شيخ؟--------{من أسماء يوم القيامة}.

الصاخة من أسماء يوم القيامة، وقد سُميَت في القرآن بالحاقة، والطامة، والصاخة، وغيرها من الأسماء.

. ولماذا سميت بالصاخة؟ نعم------

-{**أليس معناه الصارخة؟**}.------- بمعنى تصخ الآذان وتصمُّها من شدة صريرها وقوَّة صوتها.

قال: (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ)، في ذلك اليوم الذي يُسمع فيه صوت القيامة بشدة (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ)، من شدة الهول يفر الإنسان من كل أحد حتى من أقرب الناس إليه.

قال: (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ)، فهؤلاء هم أقرب الناس إلى الإنسان، أخوك، وأمك، وأبوك، وصاحبتك، وبنوك، ------فأنت تفر منهم.

إذن فرارك من غيرهم من باب أولى؛ لأن هؤلاء أنت تُدلي عليهم، تقول: يا أخي،---- يا أبي، ----يا أمي، يا زوجتي،------- يا أولادي، نفعتكم، أعطيتكم، حبوتكم، **ومع ذلك هو يفر منهم لئلا يطلبوا منه شيئًا، ولئلا يسألوه شيئًا**.

قال: (لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ)، **أي كل واحد منهم مشغول بنفسه قد اغتنى بما عنده من الحال**، فهو مذهول، ولذلك لما ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن أهل القيامة يأتون حفاة عراة غرلًا، قالت عائشة وهي تتخوف على عورتها،؛ لأنها امرأة عفيفة طاهرة، قالت: "يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض" قال: «**يا عائشة الأمر أعظم من ذلك**».

يعني كل واحد مشغول بنفسه، (لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ).

قال الله -عز وجل: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ)

، سأسأل سؤالًا: لماذا لم يذكر من حال المؤمنين وحال الكافرين إلا الوجوه؟

{لعله؛ لأنه يظهر من الإنسان أكثر ما يظهر هو الوجه}.----طيب لماذا اختار في هذه السورة الوجه، بينما اختار في سورة أخرى أحوال أخرى---**هل يقصد الخلقة لا، ليس في الخلقة؛ وإنما أول السورة كانت عن ماذا؟ عن الوجه**، (عَبَسَ وَتَوَلَّى)، فناسب أن يذكر من أحوال الناس في يوم القيامة هذا الوجه الذي يعبر عن سرور الإنسان وفرحه ونعمته وابتهاجه ونضرته، وعن بؤسه وعذابه وألمه.

قال: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ)، أي مضيئة ضاحكة، لأنها مقبلة على خير، مستبشرة يعني قد استبشرت به بما بشرت به من فضل الله ونعمته (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ)، قد علتها هذه الغبرة التي أظلمت وجوهها.

(تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ)، أي ظلمة وكلوح، نسأل الله العافية والسلامة.

(أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ)، أي هؤلاء أصحاب هذه الوجوه---------- كفرة فجرة.

والفرق بين الوصفين: أن الكفر قلبي، والفجور عملي.

فجمع لهم بين الوصفين فقال: (أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ).